

تراتيل طينية



علاء صالح المسعودي

«١»

في الغاب أنزلني الإله متيباً
بحصاره الداجي كأني المستتب
لساريات الليل، أحمل
جرّتي لم أدر أني سوف
أملؤها بأعواد الكباريت
التي يدنو القِطافُ بها
بمقرب الصباح .. وخلف
ظهري قدحة: من شوقها
أشعلت نيران القصيدة،
لن يحزّ الليلُ ذاكرتي التي
اعتادت بطلق عنانها للأجنحة
للضوء للأنسام للطرُق
الذي أبدأ يزور الأضرحة.

«٢»

في الغاب أنزلني الإله
وأنزلت معي الإشارات
التي التمعت على جذع الخليقة
كي أجزّ النبع من خلفي ...
وأوصله بذاك النبع ...
أطلع مرة، في الغاب من شجر
ومن طين، ومن كدبر ...
فأطلع مرة حلو الجبين،
ورب ساعة أن يمر بي
الشحوب، أرى القِطاف
يطول من وصلي، وهم
صحيبي الذين تحلّوني
يشترون الفوز بالتعب
المؤق من هلاكي .. غير
أن الشمس إن طلعت
يظل بها الثيث المستقيم

لكل معضلة، ومحض
مصادفه.

فلربما يحوي جراحاً
خضرت وجعاً، ويحوي
جرّتي العطشي .. فزندي
ذا يجرحني وجرحي نر من
ألم خفي من بقية قاذفه.

«٣»

هو قال: حدّثني الرصاص
عن السراييب التي انطفت
.. وعن ملكٍ ومملكة ..
هناك الحكم يبدأ أوّل
العتبات، لا خوفاً .. ولا
مجداً ... فإنك لشاهد
وبسرة التكوين من يوم
الولادة وحدك المدثور
.. راح الطين راح.
لجميل زندي ذا غدا وجع
الأريكة مستباحاً، والمرارة
بي تنز .. فليت طائرنا
يجيء مع الصباح .. وليت
أن الراح يأتي، غير أن
الراح راح.
وتصيرُ مشنقتي خطاي
مع الغروب أصيرُ صوب
المشرحة».

«٤»

وأنا العنيد الرخو، حشّدت
القوى التعبى لكي أنأى
بخلو منالي المتوهج الإشراق
لكن المنال الريم غاب
ولن يجيء، أنا العنيد الرخو

.. ها أنا ذا البعيد، ألا
أجيء؟! أنا المقيم جنازي
بدء الحداد.

البوم ينعق، والخراب يحلّ
في طاسي إلهاً من رماد.
فملاك ذاكرتي المحلّق
من رماد الأمكنة
طفلاً حوته الأزمنة

فأنا المجير وأستجير

بباحة في القلب .. هل

بعت السراج لترمش

العين الرتاج من الساء

شموس هذا الطين؟ ..

أم ها أنني المهزوم خلف

اللامكان، فحين لوح لي

اتكأت على رقيق الغصن

ولهناً صغيراً وانكسرت

.. وحين أعددت المخيلة

التي تعبت، بلغت أشد

ما سرد اليراع الحرّ

لكني اثلمت .. وحين

أذرفت الدموع محابراً ..

أيقنت ساعتها: بأني

كنت أسبح في العبارة

صوب ذاكرة الرقاد،

الملم الأحجام والأجسام

في العهد المواتي، في

تراث البارحة.

«٥»

الآن حممة المهاري في

اليطاح

يندبن أن الراح راح

الآن تنطلق الحناجر بالصباح
تنكسر الطرقات تحت
حوافر الخيل الصهيلة بالجموع
يشدها شفق المفاجأة
الأقول، وراء تلتها
المدينة، سامعاً نايًا
يرتل آخر الصلوات ..

أنفخ بالعروس وبالوشاح

محابري، الأشباح تبيك

أمر هذي الخيل، تمسك

أمر هذا الشارع المخبول

.. بالشفق المسافر للذهول

الآن تنبتر الفصول ولا

مفر من البطاح حوافر شقت

وزمار تومس بالسكوت

كما اتفق.

فالطين مزدحم الشفق.

نم واسترح .. فالطرق

ألبسنا الحناجر طالعين إليك

من شغف .. فأنت التاج

أنت سراج هذا الطين

نم .. نم واسترح ..

فعرفت أنك أنت من

زكى تراب المديحة.

ها أنت من طرق

الرتاج لسلّم الأبراج

تعلو كالسراج .. تضيء

صحن الأضرحة.